رواية

عروس الصحراء

صحيفة مثالية من مجد العرب واتحاد المصريين

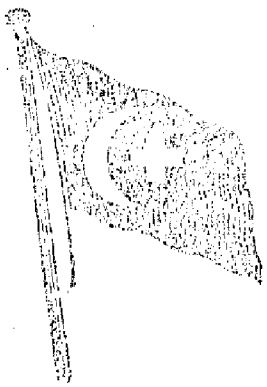

(تليها بردها)

للشاعر

اسماعيل عبد المنعم

معرب — ماسي شكسبير وعجائب موليير

ومؤلف — على سفح الجبل . على جمر الغضى . عقد اللآلى . ورسائل الصبا

﴿ حقوق الطبع والتمثيل محفوظة ﴾

١٣٤٣ — ١٩٢٥

« لقد باعنى الجواسيس ذات اليمين وذات الشمال . ولم يخلص لى واحد من بطانتى رغم ما بذلته من أكوام الذهب لارضائهم وارضاء استامبول. ولكن اسمى سيحيا ويبقى خالدا . فلقد أخرجت للعالم أعظم طريق مائى صناعى . ثم نبذت العرش نبذ النواة »

اسماعيل

" .... And be thou counsell'd. Love not the sun too dearly, nor the stars."

(Goethe)

الأسماء

(العرب)

عمرو بن العاص قائد جيش العرب من قبل الخليفة عمر بن الخطاب

الزبير بن العوام	
المقداد بن الأسود	من مشاهير فرسان العرب وفدوا
عبادة بن الصامت	مع جيش الأمداد عمرو
مسلمه بن مخلد	
عبد الله بن عمرو	
خارجة بن حذافة	من المحاربين تحت قيادة عمرو
شريك	

معاوية بن حديج	رسول عمرو للخليفة
وردان	مولى عمرو وحامل اللواء

جند — رسل — آذن

(المصريون)

ميناس	قائد مصرى وزعيم الحزب الأخضر
بطرس	خطيب مصرى
ماريه	عروس النيل
سارّة	وصيفه

أباتو حارس معبد منف

اسحاق دليل العرب الى الاسكندرية

يوحنا شماس

بنيامين بطريق الاسكندرية المنفى

رهبان . قساوسه . جند

(الروم)

تيوذس المقوقس حاكم مصر من قبل الملك هرقل

تيودور قائد جيش الروم

أريطيون قائد حامية بلبيس

دوبنتيان زعيم الحزب الأزرق

يودوسيان ضابط

جورجيوس حامى حصن بابلون

أرمانوسه ابنة المقوقس

أنسطاسيس حاكم الاسكندريه

فليادس ضابط

جند . رسل . آذن

﴿ الفصل الاول ﴾

(المنظر الأول : في الصحراء)

« دير يرفيد بعض الرهبان »

رئيس الدير — لقد سمعت النبوءات المتواترة عن تلك الأمة المريبة الناهضة التي بنى مجدها وأسس عزها بطل من رجالها فلم تمض افرادها وجمع شتات قبائلها ثم قادهم تحت لواء واحد فقلب عرش كسرى وهدم مجد قيصر وقد عظم أمرهم وانتشرت دعوتهم حتى لقد أتم ذكرهم في البلاد وأنجد ودانت لهم الأمم قاصيها ودانيها فأخضعوا العراق وبلاد فارس والشام

أحد الرهبان — وهل من جانب خبر عما يشاع من انهم يقتربون من هذه البلاد ؟

رئيس الدير — نعم انهم اجتازوا الصحراء فيما بين الشام ومصر حتى وصلوا الى مدينة الفرما مفتاح الديار المصرية وقد فر غالب سكانها وتفرقوا أيدي سبا وهم الآن في طريقهم الى مدينة بلبيس

راهب ثان — الرأي عندي ان نعمل بوصايا البطريق بنيامين ونتبع هداه

فقد أمرنا قبل أن يغادر هذه الديار ويضرب في الفيافي والقفار الا نقف في وجه الحرب بل نحسن مقابلتهم ونرحب بقدومهم لنتخذ منهم عونا ظهيرا على مكافحة الروم فلشدة ما نتحمل في بلادنا من عسفهم ونرزح تحت نير حكمهم

راهب ثالث - نعم لم يكد يجلو الفرس عن هذه البلاد ويخلو الجو للروم حتى وفد ذلك العاتيه سيرس المقوقس لينفذ مشيئة هرقل الا وهي القضاء على المذهب اليعقوبي ليتبدل به المذهب الملكي وليلفتنا عن عقيدتنا وفاقا لتعاليم جمع خلكيدونيا ولما رأينا ان في تغيير مذهبنا سبة لنا ومعرة رأينا ان نخضع لهم حتى علينا سيرس وثار ثائره ثم شرع ينفذ أمره بالبطش والقوة ويفرط علينا ولما أسرف في ظلمه وبلغ عتوه المدى تفرقنا في البراري وتبوأنا في الصحراء بيوتا واتخذنا في هذه الأديار سكنا وقد تركنا البلاد يعيثون فيها فسادا ويديرون على أهلها العذاب أنكالا ولا يألونهم ارهاقا ونكالا فلم تعطفهم علينا عاطفة وليست لما حل بهم كاشفة حتى لقد خضبوا وجه النيل بدمائهم وألقوا على شاطئيه نثارا من أشلائهم

راهب رابع - عما ذا عن علينا هؤلاء الناس وماذا تركوا من الأثر في نفوسنا سوى العداوة والبغضاء. أليسوا هم من ذرية الطاغية

دقلديانوس الذى قتلك بالمصريين فتكا ذريعا واستباح دماء شهدائهم وأغلق المعابد . وهدم الكنائس . ومثل بأبائنا شر تمثيل . ألا أن الضغن وان طال العهد به لابد يوما يثور من رقدته ثم تأجج نارا وتتوهج شراره وان كانت القوة قد غلت أيدينا وعقلت ألسنتنا فأغضينا الجفون على القذى وسمحنا الذيول على الاذى إلا انه قد بدت تهب علينا نسمة النهوض وتدب فينا روح الأقدام .

وكذلك الأمم تبتلى فتتفرق أفرادها وتختلف اهواؤهم وتعبث بهم يد الاطماع فاذا انتبهوا من غفلتهم واستيقظوا من سباتهم قاموا ينفضون عنهم غبار الجمود وهبوا يتوثبون للحياة .

رئيس الدير — أعافك الله أيها البطريق الصالح فى غربتك وأنزل عليك سكينته فلقد خرجت فى يوم اكفهرت سماؤه وتلبدت سحبه والأنباء تتوالى عن وفود ذلك السفاح سيرس رسول الالحاد وعدو الدين ليكون بطريقا فى الاسكندرية وحاكما لبلاد مصر ثم قلت إنه أوحى اليك أن ترحل من هذا البلد وتعتكف فى دير بصعيد مصر وستأتى على الشعب سنوات عشر يذوقون فيها مر العذاب فتسفك الدماء وتقتل الابرياء وتنتهك حرمة المعابد فتلبس الثرى ثوبا قانيا وتبلغ اصوات

المستنيرين أعنان السماء حتى اذا ضاقت مصر على رحبها وكاد يقضى على نسلها قيّض الله من يفك البلاد من أغلالها وينقذها من أيدى غاسبيها بعد أن يدلهم الخطب ويتفاقم البلاء وما من شدة الا أعقبها الرجاء .

نعم لقد صحت فراستك أيها الرجل الصالح فلقد مضت عشر سنين ونحن نقوم تحت ذلك الحكم البيزنطى لا يرعى لنا عهدا ولا يسمع لنا صوت كأن قلوب القوم فى أكنة وكأن وقرا فى آذانهم ولقد مثل سيرس بأخيك فشد وثاقه وطاوعت له نفسه ان يحرقه بمشاعل من نار ولكنه أصر على اعتقاده ولم يعترف بالمذهب الجديد فنبذه فى اليم وأمر بأخراجه ثلاث مرات متتابعات وهو فى كل مرة يزداد رسوخا فى اعتقاده وأخيرا قضى ذلك الظالم الباغي باغراقه ففاضت روحه بريئة الى بارئها ذلك ان الايمان بالحق متى رسخ فى النفس وجرى من القلب مجرى الدم عجزت القوة ان تنتزعه ولو بلغت النفس التراق والقلوب الحناجر

هل أتاكم حديث الأب صموئيل الذى أهدر سيرس دمه فأمر به أن يكبل فى الأصفاد ويضرب بالسياط ولما أحضره ليقتله نظر اليه ذلك الاب الجليل نظرة كادت تهوى به كأنها العاصفة الهوجاء ثم سلقه بألسنة حداد وقال له إن

الموت أحب الي مما تدعوني اليه واني أؤثر أن أتجرع كأس المنية مترعاً على أن أتحول عن مذهبي قيد شبر

ألا ترون الى يوحنا بان وهو من اهل الزلفى عند سيرس والحظوة لديه كيف يوعز الى جنده بأخذ اللائذين بالمعابد من المصريين ليقطع اوصالهم وينكل بهم بين عويل نسائهم ونحيب ابنائهم

كل هذا الظلم تأمر به الكنيسة البيزنطية فلم ترقب فينا الاّ ولا ذمة حتى لقد أوغرت صدورنا وصرمت حبل تلك الصلة الدينية وفصمت عروتها

ألا إن لكل ظالم مصرعه ولكل أمة ما كسبت وعليها ما اكتسبت وان تلك الاعلام الخافقة على الشام وهذه الأصوات التي تعج في الصحراء انما هي جزاء حق وانتقام عادل لمحو سيطرة الروم من الوجود

احد الرهبان — ولكن للروم جيشاً عظيماً لا يثبت امامه جيش العرب وهم اذا آنسوا منا الميل لشد أزر هؤلاء ومظاهرتهم غمرت صدورهم علينا واضمروا لنا الكيد وكاشحونا فان تم لهم الظفر سامونا الخسف وناقشونا الحساب .

راهب ثان — ان العرب الذين مارسوا الحروب حيناً من الدهر قد ابادوا جيش الروم على كثرته في بلاد الشام فشقوا صفوفهم

وفلّوا جموعهم ولا جرم اننا اذا مددنا لهم يد التآزر وانضم اليهم جنود من المصريين استطاع جيشهم ان يغلب جيش الروم فتتنفس البلاد طمأنينة وتستريح من شرهم.

رئيس الدير — علينا اذن ان نبث هذه الدعوة بين اخواننا المنتشرين في طول البلاد وعرضها ولنبادر بالرحيل قبل ان يشتد الخطب ويستفحل الامر وانا لندعو الله ان ينزل على هذا الشعب رحمة من لدنه ويهيء له من أمره رشدا

« يخرجون ويدخل عمرو بن العاص وبعض العرب »

عمرو — هذه هي الليلة العاشرة من شهر ذي الحجة وقد اجزنا هذه المراحل منذ تركنا الشام في ثلاث ليال وأمسينا من أرض الفراعنة قاب قوسين او أدنى

احد العرب — لعلنا قد أصبحنا على كثب من بلبيس

عمرو — اجل فان المدى اليها قريب قد يجتازه الجيش في يوم او بعض يوم وهذه هي الحجة التي سار فيها من قبل يوسف بن يعقوب حين وفد مع بعض السيارة على فرعون مصر وكذلك سلكها قمبيز ملك فارس لدن شنّ الغارة على هذه الديار

احد العرب — ألم يدخل الاسير مصر قبل هذه الغزوة ؟

عمرو — بلى لقد دخلها في الجاهلية مع شماس مصري لقيته في بيت

المقوقس فراقني مدينة الاسكندرية الجميلة وجرى ما فيها من الخيرات الكثيرة فلما فضلت راجعاً الى بلاد العرب لم يعزب عن ذهني ذكرها متى كان امر غزو الشام وانهزام الروم امام جيش الاسلام فبدا لي ان فتح مصر سيكون قوة للمسلمين وحرناً لهم

احد العرب — وماذا كان يرى الخليفة في فتح مصر؟

عمرو — لما استوثق الامر للعرب في الشام بعد حصار القيسارية رغبت الى امير المؤمنين وكنا يومئذٍ في الجابية أن يكل الي غزو مصر والدعوة الى الاسلام في بلادها وكان الخليفة يرى غير هذا الرأي بادىء بدء وأحسبه أشفق على المسلمين ان يتشتت جيشهم في مناكب الارض ولكنه عاد فأجابني الى سؤلي وعقد لي على هذا الجيش

احد العرب — وهل رضي القيصر هرقل وهو الذي دوخ فارس وأذل كسرى أن يطوي صحيفة مجده ويقنع من الغنيمة بالأياب

عمرو — نعم لقد كان هرقل يختال في برد الزهو ويسحب مطارف الخيلاء ويُزهي بجيشه العرمرم وقد غره الغرور فحسب نفسه أكبر من ان يقاتل العرب مع قلتهم ووفرة رجاله ولكن العرب استبسلوا واخذوا مدائنه واحدة تلو الأخرى وما سمع بسقوط دمشق حتى هاله الامر ووقف في

مدينة انطاكية ينضب معه حظه وقد بدت عليه سيما التعب واستولى عليه القنوط وأيقن ان قد انحسر ظل مجده وأفل نجم سعده فألقى نظرة على تلك الربوع وقد جالت فى عينه عبرة وقال الوداع ياسوريا ثم ركب البحر ميمما قسطنطينيه .

احد العرب — وكيف تم الصلح بين الفريقين ؟

عمرو — ان الروم لما تقطعت بهم الأسباب واخذت الأرض عليهم فجاجها جنحوا الى الاذعان لأمر العرب وقد صحت عزيمة صفرونيوس بطريق بيت المقدس ونهضت به الرغبة الى السلم ولكنه ارتأى ان يحضر الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ليكون ذلك ادعى الى انسلاح ذات البين وتوثيق الرابطة بينهما فلما وافى الخليفة صافح البطريق الشيخ وعاهده على الصلح ثم زارا الأقطار المقدسة معا

« يدخل جندى من العرب »

جندى — ان العرب قد احتفوا جميعاً بعيد النحر فأوقدوا النيران وذبحوا الأضاحى وهم الآن على بكرة أبيهم متأهبون للظعن

عمرو — الا فلتؤذنوا فى الجيش الرحيل قبل ان ينهتك ستر الظلام ولتذهبوا سراعاً لتقويض الخيام ودعوة الجنود

(يخرجون جميعاً الا عمرو)

عمرو — (لنفسه) لقد استوفى ذلك الشماس وانا أطوف بيت المقدس ثم اخذ ينقضي بزّتي ويتفرس في هيئتي ويبدان صعّد بصره وصوبه قال أيها الاعرابي أن لك لشأنا وانك ستطأ ارض مصر فاتحاً فاذكرني اذا انت تبوأت عرش ملكها والقد على رأسك اجبها وُجبي اليك خزّها وديباجها فلم يدر بخلدي في ذلك الحين ان تتحقق فراسته ويصدق حدسه وان هناك دينا سيطلع على الأفق فجره ويشيع في الأرض ذكره وان هذا الدين دين الفطرة اراده الله ليخفق علمه في ارجاء البسيطة وليطهر به العالم من رجس الوثنية وينشئهم خلقاً جديداً . اما والله لئن أوتيت ملك مصر لأوفين له بالعهد ولأذكرن قالته تلك حامداً لله نعمته شاكراً منّته

(يدخل رسول)

رسول — بعثني امير المؤمنين بكتاب من عنده وامرني ان اجدّ السير لابلغ جيش العرب وأعطي هذا الكتاب الى الامير عمرو

عمرو — ترى ماذا عنّ للخليفة من الامور . هات الكتاب يا اخا العرب (يأخذه ويفضه)

« تسمع دقات الطبول ويدخل جند العرب

افواجاً فيخطبهم عمرو »

أيها المسلمون المهاجرون منكم والأنصار . أنتم الآن في إحدى قرى مصر وهذا كتاب أمير المؤمنين قد عهد الي فيه أن ادركني كتابه بالفرما أن دخلت مصر أو ألممت على شيء من أرضها أن أرجع بكم وأنصرف وان لم يلحقني كتابه حتى دخلت أرض مصر أن أسير في طليعتكم وتمضي جميعاً على بركة الله رها أنتم هؤلاء تجتمعون تحت ظل الدين الحنيف لاعلاء كلمة الله فلتفعلوا ما أمركم به ولتجتنبوا ما نهاكم عنه وانكم ستغزون بلاداً هي معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وستقدمون على أمة هي وريثة مجد وسؤدد وأهلها على دماثة في الخلق ولين في العريكة وستبصرون قوماً حبسوا أنفسهم لله فذروهم وما حبسوا أنفسهم له واذكروا قول النبي : لتفتحن عليكم بعدي مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة . ولتعلموا إذا التقى الجمعان أن الغلبة لأقوى الفريقين فاما الى الامام تغزو بلاد مصر جميعاً فتحمل ألوية النصر وإما الى الوراء لتكونوا على أعقابكم وفي ذلك من المعرة ما تحمي دونه أنوفنا وترد وصمته عنا سيوفنا وأن الامة العربية التي تنتمون اليها تترقب منكم أن تشهدوا بناء عزها وتوطدوا دعائم مجدها فلتجمعوا اليوم كلمتكم وتقووا ذراعكم

وحذار أن يتسرب الضعف الى نفوسكم أو يخيفكم من العدو كثرته فقد قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

« يخرجون »

(المنظر الثاني: الطريق الى بلبيس)

« اريطيون في جند من الروم »

اريطيون ـ قد أرسلت الى القائد تيودور رسولا يبشه بدنو جيش العرب من بلبيس وطلبت منه أن يرسل كتيبة من الجند لتعزيز الحامية وهذه أصوات العرب يتجاوب الفضاء صداها مؤذنة بالدخول الى المدينة ولما يأتنا المدد

احد الروم ـ ألا نستطيع المقاومة اذا لم يدركنا المدد

اريطيون ـ ان المقاومة في هذه الحال ليس فيها غناء فقد بلوت العرب في بلاد الشام قبل أن يغزوا مصر فرأيت منهم ليوثا ضارية لا يخشون الموت ولا يهابون الردى ولقد كانت مدينة دمشق تموج بجنود الروم وحصونها تمور بكتائبهم وكان العرب خارج أسوارها وقد نالهم من شدة مراس جنودنا وبلائهم ما كاد يودي بجيشهم الى التلف حتى حسبنا أنهم

وهنوا واستكانوا لما أصابهم وأنهم سيركضون الى بلادهم مدحورين فما هي الا عشية أو ضحاها حتى جمع العرب رجالهم وتكاتفوا ثم أطلقوا للعرب عقالها ودخلوا المدينة شاهرين السيوف وهم يكبرون ويهللون فقوضوا حصونها ودكوا معاقلها ولم يصدقوا عنها حتى دحروا الجيش وأثخنوا الجنود

احد الروم — ولكن ألا ترى أن مدينة بلبيس هي الحصن المنيع لهذه غارات المصريين على مصر وان استيلاء العرب على هذه المدينة بلا مقاومة سيدفع بهم الى الاشتغال في البلاد وهذا بلاشك سيفضي الى إثارة الشعب وهياج الخواطر

اريطيون — حقاً لقد حرج موقفنا وأصبحنا في لبس من الامر فاذا نحن قاتلناهم من قلة ظفروا بنا وأبادونا عن آخرنا

احد الروم — قد أخذنا على عاتقنا ان نقف في وجه كل مغير مهما تجشمنا من المصاعب فاذا لم يسعفنا القائد تيودور بجيش نقوى به أسرنا فلا يسعنا الا قتال العرب لنقصيهم عن بلادنا والا وقعت تبعة دخولهم المدينة على رجال حامبتنا

اريطيون — هذا ما لا أراه صواباً وأولى لنا ثم أولى ان نخلي المدينة وننذر اهلها بمغادرتها لنتركها للعرب خاوية على عروشها فنكون قد حقنا دماء جنودنا وكنينا هم شر هذه القائله

« يدخل جنود من الروم »

جندي ـ ان العرب قد أحدقوا بنا على غرّة واحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم فلم يكن لرجالنا بدّ من التراجع اما من فر من السكان فقد تعقبوهم واستولوا على كثيرين من الاسرى

اريطيون ـ (متزعجاً) واغوثاه قد قضى الامر وحمّ القضاء وليس لنا الا الادبار بعد أن انهزم الجيش ووقع رجال الحامية في الأسر فلتبادروا قبل أن يباغتنا جيشهم فيوقعوا بنا شر وقيعة .

« يخرجون ويدخل خارجة بن حذافة في جند من العرب »

خارجة ـ هذه فاتحة النصر فقد أنزل الله الرعب في قلوب الروم حتى أخلوا المدينة وتركوها قاعا صفصفا وخرابا يبابا كأن لم يغنوا فيها وهم لم يشهروا سيفا ولم يشرعوا سنانا فكيف بهم لو أنهم ذاقوا بأس العرب ولمسوا شجاعتهم

احد العرب ـ ان الروم ما كادوا يرون طلائع العرب بادية للعيان حتى ولوا فراراً ولم يشتبكوا معنا في قتال ولكن جنودنا أخذوا يتعقبونهم بكل سبيل ويقعدون لهم كل مرصد خشية ان يترصدوا لهم او يتربصوا بهم

خارجه ـ لقد سابق فرسان العرب الريح في هذا السرى وكانت جيادنا تفري الطريق وتطوي الفلوات وأصبحت المدينة وقد طلع

عليها كواسر كأنهم هبطوا من السماء فلا بدع إذا
صعق الروم وأسقتهم رجفة

احد العرب — ولكن الروم يحاصرون حصوننا ويضربون بيننا
وبينهم سداً بغية أن يهدوا جيشنا ويرموا في عزيمته
بالوهن

خارجة — ان الأمير عمراً لا يوغل في البلاد حتى يأتيه المدد
فان الخليفة اذا علم أنك قد بلغنا من أرض مصر هذا
الشأو سيرسل لنا من جنود العرب رجالا يضيق
بكثرتهم الفضاء ولا إخال هؤلاء الجنود الا سيتدفق
جمعهم قبل أن ينصرم هذا الشهر

(يدخل بعض العرب ومعهم الاسرى بينهم أرمانوسه)

احد العرب — قد ظفرنا ونحن نغير على ساقة الروم بهؤلاء
الأسرى واجتزنا غنائم وأسلاباً

خارجة — من تكونين أيتها الفتاة

ارمانوسه — أنا أرمانوسه ابنة المقوقس حاكم بلاد مصر قد
أوقعني القدر في قبضة رجالكم بينما كنت عائدة مع
رجال من بطانتي الى بابلون إلا أني أتوسم في عدل
العرب أن ينالني عفوكم فتخلوا سبيلي وتطلقوا سراحي

خارجة — لتقرّى عيناً أيتها الفتاة ولتهدئى بالا فأنا نعف أن نصيب ربات الحجال بسوء وان ديننا يأمرنا بالعدل والاحسان ونحن لانبغى أن نقتل رجالا أو نسبى نساء إن هو إلا قضاء بالحق وأخذ بالمعروف

(يخاطب الجند) أما أنتم أيها الرجال فلتترفقوا بالأسرى وتوطنوهم أرحب جناب ولتردوا اليهم ما أخذتم من الأسلاب وأما هذه الفتاة فلتكرموا مثواها وترسلوها الى أبيها تحفها الطمأنينة وتحدوها المهابة والأجلال والآن فلتسيروا على بركة الله

تدق الطبول ويخرجون — تسدل الستار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(المنظر الأول : بالمنزل)

« حجرة فيها مارية وقس »

مارية — لم يأت ميناس بعد فماذا عاقه من الأمور وكنا على أن نعقد الأكليل فى هذا المساء

قس — ليس فى ذلك مايدعو الى القلق فلا توجسى خيفة فربما طرأ عليه أمر لم يكن فى الحسبان وعما قليل سيجلو لنا الخبر

مارية — إني رأيته ضحى اليوم حين ألقت الشمس أشعتها على الأفق وكان مرتديا لبسه الحربي وطفق يمشى على ضفة النيل ولكنه لم يقف ليزودنى بنظرة كعادته بل عبر النهر وأنا أستقريه بنظري حتى غاب عن بصرى وقد انقضى النهار وجنّ الليل ولم أسمع عنه خبرا

قس — يلوح لى أنه قادم

(يدخل ميناس فى زي ضابط مصرى)

ماريه — إلهى ! هذا أنت يا ميناس

ميناس — نعم أنا هو يا ماريه

قس — عم مساء يا ميناس

ميناس — عم مساء أيها الأب الجليل

قس — لقد استبطأنا حضورك

ميناس — أما علمتما بنبأ تلك الكارثة التى حلت بالبلاد

ماريه — وأية كارثة

ميناس — إن العرب يزحفون على البلاد

ماريه — إنه لنبأ مزعج

ميناس — هذا نبأ لا مرية فيه فأن العرب قد احتلوا مدينة بلبيس فنجا قورش اريطيون وجنده الى الفرار فما كان من العرب إلا أن ولوا وجوههم شطر هليوبوليس وبعد معركة عنيفة وصلت نجدة الى العرب فارتد الروم وتبعهم العرب وهم الآن يهددون بابلون وقد فزع جميع من فيها واستولى عليهم الذعر وأخذوا يتحصنون فى دورهم ليتقوا شر المهاجمين

ماريه — مالهؤلاء ينزوننا ويريدون اغتصاب بلادنا ونحن لم

نبدأهم بسوء ولم نناصبهم العداء فلا والعذراء ما كانت
النصرانية الحقة لتعتدي أو تظلم ولكنها عبادة الله
والامتثال لوصاياه .أما كفانا ماحل بنا من حكم الروم
حتى يجتاح هؤلاء الأعراب بلادنا . إنهم إن ملكوها
عثوا في أنحائها وجعلوا أعزتها أذلة وهدموا المعابد
وغيروا العقائد ولا يزال هذا دأبهم حتى يحيلوا مصر
ضيعة لهم ويالضيعة البلاد ونحس طالعها يومئذ

ميناس — هوّني عليك إن الأمر على غير ماتتوهمين إن هؤلاء
إلا دعاة لاغزاة وما لدنيا قاموا وإنما لدين يدعون اليه
برفق وينشرون دعوتهم بلا إكراه وما أشبههم في
هذا السبيل بدعاة المسيحية الذين نفضوا أيديهم من
زخارف الدنيا وأخلصوا لدعوتهم تلك. كلتا الفئتين دعت
الى دين ولم تبغ دنيا

ماريه — وماذا يكون موقف المصريين إزاء هذا الحادث
الجلل

ميناس — نحن مسوقون الى الوقوف في صفوفهم مادامو
لايبغون شراً بالبلاد لنقصي الروم عن ديارنا ونسلم من
ظلمهم والآن فلنرجيء عقد الأكاليل ريثما تضع
الحرب أوزارها فتغمد السيوف في أجفانها وتستعيد

البلاد أمنها

«تسمع جلبة وضوضاء — قرع أسنة وضرب سيوف»

ماريه — ويلاه ! ماذا أسمع

ميناس — هذه كتائب العرب تدخل المدينة فالوداع أيتها العزيزة

ماريه — فى كلاءة الرب أيها العزيز

«يخرج ميناس»

أو كلما نهض الجدُّ بدولة رمقت مصر بعينها ثم عالجت أن تضع عليها يدها وهل قضى على هذا الوادي أن يكون مرتعاً خصيباً لكل من ضاقت به بلاده ونبت به أرضه حتى اذا وجد بمصر أهلا ونزل بأرضها سهلا جحد منّتها وكفر بنعمتها وأضحى ينازع الدار بانيها والبلاد أهلها

قس — إن الأمم التى تعاقبت على مصر قد لقيت جزاء جشعها بفضل ثبات المصريين وإخلاصهم وكم شهد النيل من أمة غاصبة لم تزل مصر قائمة فى وجهها جادة فى جهادها حتى أنزلتها من عليائها وجعلتها تترك البلاد قسراً

وهذه صحف التاريخ التى دونها لنا آباؤنا الأقدمون

تنبيء أن الذين أغاروا على مصر قد بادوا دولة إثر دولة لأن الله يريد بكنانته خيراً فلا تستقر دولة فى هذا البلد الأمين إلا ريثما تغير عليها أخرى ومصر باقية الى الأبد لأبنائها تحنو عليهم ويبرون بها فتعالى أيتها الفتاة لندعو الله أن يفرج على البلاد رحمة ويبدل من ضيقها سعة ومن عسرها يسراً

« يخرجان »

(المنظر الثانى : ساحة فى بابليون)

« الزبير وعبادة والمقداد ومسلمة في جند من العرب »

الزبير — لقد كشفت الحرب عن ساقها فى هليوبوليس وأبدت نواجذها وتناضل الفريقان وكالحا كفاحاً شديداً وان كانت لتدور الدائرة على العرب لولا ان وصلت نجدتنا فزادتهم قوة وايماناً ونالوا بذلك فوزاً عظيما

عبادة — ان الله قد أدالنا من الروم ورد كيدهم فى نحرهم حتى ألجأناهم الى الاعتصام بذلك الحصن المنيع

المقداد — أظنهم قد أحسوا بتفوق العرب على جنودهم وعلموا ان لا مناص لهم من طرق باب المفاوضة فأرسلوا رسلهم الى الامير عمرو ينهون اليه أمر حاكمهم

مسلمه — هاهو ذا الأمير عمرو قادم

(يدخل عمرو مع بعض العرب)

عمرو — يامعشر العرب ان الرأي شوري بينكم وما كنت قاطعاً أمراً حتى أشاوركم فيه فان المقوقس حاكم مصر قد أرسل الي رسالة يقول فيها إنا ولجنا بلاده وألححنا على قتاله حتى طال المقام بأرضه وان الروم قد جهزوا العدّة وأخذوا الأهبة وهو يرى ان نهادنهم ونرسل اليه رجالا منكم ليسمع ما يقولون على الأمر يأتي بيننا وبينه كما يحب الفريقان

المقداد — الرأى ان نجيبه الى طلبه لنسبر غوره ونعجم عوده

مسلمه — لا جناح علينا اذا نحن فاوضناهم فى الأمر لنقف على حالهم ونجلو أخبارهم

عمرو — اذن فلتختاروا عشرة منكم على رأسهم عبادة بن الصامت فهو أعرفكم بضروب المناظرة وأثبتكم جناناً وأطلقكم لساناً

(العرب يتشاورون فيما بينهم)

وأنت ياعبادة كن مدرّه الوفد عند المقوقس وعليك ان تحسن المنطق وتزن الكلام وتقرع الحجة بالحجة والا تجيبه الا الى احدى الثلاث التى أوصى بها أمير المؤمنين

عباده — سمعاً وطاعة أيها الأمير

« يخرج عبادة وعشرة من العرب »

عمرو — وأنتم أيها الجنود فلتتفرقوا فى خيامكم واذا طاف أحدكم بهذه المدينة فليكف يده وينض طرفه ولا يمشى فى الأرض مرحاً فلا أعلن ان أحدكم أخفر زماماً أو هتك ستاراً أو انتهك حرمة المعابد ولا تبدؤا الناس بالسوء بل عاملوهم بالحسنى وقابلوهم بالتى هى أحسن ولا تعقروا دابة ولا تخربوا عامراً ولا تجتثوا غرساً فاننا فى هدنة لا يحل فيها الكفاح أو ينقضها أحد الفريقين واذا نادي فيكم منادي الحرب فلتعدوا رباط الخيل وتلبسوا دروعكم ثم تفزعوا الى سيوفكم لتخوضوا غمار الوغى واثقين بالله فقد عودكم النصر على أعدائكم ان ينصركم الله فلا غالب لكم

« يخرج عمرو ويتفرق الجند »

(المنظر الثالث: قصر الجزيرة)

« المقوقس فى رجال من بطانته »

المقوقس — ان العرب كفوا عن القتال لما رأوا منا الرغبة فى مفاوضتهم ولكن مضت ثلاثه ايام منذ عاد رسل

الروم ولم يأت وفدهم بعد

تيودور - ربما اختلف العرب فيما بينهم وتنازعوا فى أمرهم فهم لا يريدون مواصلة القتال

المقوقس - لا أظن ذلك فانهم أولو بأس والحرب على ما قالوا خدعة ولعلهم يترقبون أمراً من خليفتهم لانهم يذعنون لرؤسائهم ولا يبتون فى شىء الا بأذنهم وهذا قائدهم الباسل عمرو بن العاص على ما هو عليه من سداد الرأي وعلو الهمة يكاد لا يفصل فى أمر الا بأذن الخليفة فاذا كان هذا شأنهم حقّ علينا ان نحذر جانبهم ونكون على يقظة من أمرهم

تيودور - قد أخذت الحيطة لهم ووكلت الى جورجيوس الدفاع عن حصن بابلون وأرسلت يودوسيان للطواف مع كتيبة من الفرسان لمنع العدو عن عبور النهر هذا الى ان الجسر قد قطع فيما بين الجزيرة وبابلون وأصبح يتعذر عليهم ان يجاوزوا الشاطىء وسيعلم أولئك القوم ان قد خاب سعيهم وطاش سهمهم

المقوقس - يجمل بنا قبل ان نسل السيوف فى وجه العرب ان نتفاوض واياهم فعسى ان ننال بالسلم ما لا ننال بالحرب وقد أرسلت الى القيصر هرقل أفضى اليه بخبر زحف

العرب وأزين له هوادتهم لأن في مناهضتهم ما يؤدي بالبلاد الى الويل والثبور أو لم تسمعوا ما قاله رسل الروم الذين أوفدناهم اليهم فقد رأوا قوماً الموت أحب اليهم من الحياة والتواضع أحب من الرفعة ليس لأحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة وانما جلوسهم على التراب وأكلهم على صهوات جيادهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد يغسلون أطرافهم ويتخشعون في صلواتهم وان قوماً هذا شأنهم لو استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتالهم أحد وما أظن ملكهم الا سيغلب على الأرض قاطبة

« يدخل آذن »

آذن — قد حضر وفد العرب

المقوقس — ليدخلوا

(يدخل عبادة وعشرة من العرب)

عبادة — السلام على من اتبع الهدي وخشي عواقب الردى وبعد فاني موفد من قبل قائد جيش العرب الأمير عمرو بن العاص الي المقوقس حاكم مصر ليلقي كل فريق معاذيره ويكون من أمره على بصيرة

المقوقس — أجب أيها العربي وقل ما سبب غزوكم لبلادنا

عبادة — ليس غزونا لبلادكم رغبة في الدنيا ولا طلباً للاستكثار وانما بغيتنا الجهاد في سبيل الله تعالى وابتغاء رضوانه وما يبالي أحدنا أكان له قنطار من الذهب أم كان لا يملك درهماً لأن غاية أحدنا من دنياه أكلة يسد بها جوعته وشملة يستر بها عورته وليس نعيم الدنيا لدينا برخاء وللآخرة خير وأبقى هذا ما أمرنا ربنا وعهد الينا نبينا

المقوقس — اني فطنت أيها الرجل الي انكم لم تظهروا كما ظهرتم الا بأيثاركم الآخرة على الدنيا ولكنكم الآن على قلة في العدد وفي ضيق من العيش وامامكم من جيش الروم عدد لا يحصى وقد قطع الجسر بيننا وبينكم فأصبحتم ولا منفذ لكم ونحن تطيب أنفسنا ان نصالحكم على ان نزودكم بالمال فتنصرفوا من بلادنا قبل ان ينشأ كم من جمع الروم ما لا قبل لكم برده ولا حول لكم على صده

عبادة — نحن يا هذا لا نخاف جمع الروم وكثرتهم فذلك والله أبعث لنا على قتالهم وأدعى لحرصنا عليهم ولك ان تنظر ما تريد فبينه لنا فليس بيننا الا احدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا فتكونوا اخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا فان أبيتم فأدّوا الينا الجزية ما بقينا وبقيتم فان أبيتم فلا يحكم بيننا الا السيف نجاهدكم بالصبر والقتال

حتى تغنى عن آخرنا أو نصيب منكم ما نريد . بذلك
أمرني الأمير وبه أمر أمير المؤمنين

المقوقس — الا تجملوا في طلبكم وتجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث

عبادة — (رافعاً يديه) لا ورب السماء

المقوقس — (يتناجى مع رجاله) قد أبى القوم ان يجيبوكم الى
ما طلبتم فراجع صاحبك في الأمر

(يخرج عباده وأصحابه)

تيودور — ليس لنا الا امتشاق الحسام في وجه هؤلاء الناس
ولنسرع الآن لاقامة الحصون وتضييق الخناق عليهم
فانها لمعرّة على الروم الذين سيطروا على العالم وملأ جندهم
البر والبحر ان يخفضوا جناحهم لسكان البوادي
وأبناء الصحراء

المقوقس — اما وقد اجتمع رأيكم على الحرب بعد ان محضتكم
النصح فليس لي ان أفتات عليكم ولنذهب الآن الى
حصن بابلون لنتولى الدفاع عنه ولنبذل جهد المستطاع
في حمل المصريين على الأنضواء تحت لوائنا في هذه
الحرب الشعواء والا حقت علينا الكلمة وكان نصيبنا
الخزلان

« يخرجون »

(المنظر الرابع : ساحة)

« رهط من الفساوسة يلتفون حول القس بطرس
وهو يخطب فيهم »

بطرس - أيها المصريون اسمعوا وعوا فقد حانت ساعة الخلاص وأراد الله لكم الفرج فقد أصبح الروم وأمرهم غُمّة عليهم حتى تفرقوا قدداً لا يقبل المقبل منهم على مدبر وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وأمسى لا مفر لهم من ملاقاة العرب ولا بد ان ينعق فيهم طائر النحس ويوصد دونهم باب الرحمة

الجميع - هذا جزاء الظالمين

بطرس - نعم هذه مغبة صلفهم وجزاء بغيهم فلطالما ارهقوكم وأثقلوا كواهلكم وحملوكم على المكاره وأفتنوا في الوقيعة بكم والشنآن عليكم وسلكوا بكم خطة نكراً

الجميع - ويل لهم

بطرس - واليوم قام الزعيم ميناس وأهاب برفاق له فاتخذوا العلم الأخضر شعاراً لهم ثم تعاهدوا جميعاً على مطاردة الروم أينما كانوا لينتقموا ممن عبثوا بحريتكم وهضموا حقوقكم

الجميع — مرحى . مرحى

بطرس — ولقد كان لدعوته خير أثر فى إثارة نهضة مباركة إذ قام الجنود من المصريين بعد أن فرقتهم يد الطغيان وهبوا يثأرون لوطنهم وأخلاق بميناس أن يكون الرجل الذي يرجى فى هذه الآونة التى جدّ فيها الجد واشتد الخطب ليدرأ عن بلاده ويذود عن حياضها

الجميع — ليحي الزعيم ميناس

بطرس — وكذلك الأمم تتفرق أفرادها شيعاً ويختلفون عقيدة ولكن إذا مانزل بهم خسف أو مسهم ضير اجتمعت قلوبهم لدفع المكروه وتوقى النازلة ذلك لأن الشدائد تجمع بين القلوب المتنافرة وتؤلفها وتؤاخى بين النفوس المتناكرة وتعطفها ولا يكون من الجميع حيال مايصيبهم إلا قوة تكون سداً فى وجه الاستبداد

الجميع — ليحى الاتحاد

بطرس — وكأين من أمة كانت متفرقة نشراً فأمعن أبناؤها فى الغواية وعكفوا على اللهو تماسك أفرادها كالبنيان المرصوص لما تبينوا الشر محدقاً والخطر زاحفاً وما لبثوا أن خرج منهم من سعى لكسر أصفاد الظلم وإخراج الأمة من ظلمات اليأس الى نور الرجاء

ألا فلتجيبوا داعي الاتحاد ليكلل الله أعمالكم بالنجاح ويتيح لكم النصر على أعدائكم فأنا صبرنا طويلا على مضض أما اليوم فقد آن لنا أن نمحو عار المهانة بأرواحنا وأن تلك الضحايا البريئة لتناديكم من قبورها أن اثأروا للدماء التي أريقت ظلماً وعدواناً فلتلبوا نداءها ولتأخذوا بثأرها

الجميع — الانتقام — الانتقام

«يخرجون — تسدل الستار»

﴿ الفصل الثالث ﴾

(المنظر الأول : مضرب العرب امام الحصن)

« جنود العرب فى غدو ورواح »

أحد العرب ـ حقاً ان هذا بلد قد أخصبت أرضه وذكا نبته ودرّ ضرعه وهو واد كثيف الأشجار وارف الظلال غض الثمار. الا ترى النيل ينساب فى الأرض انسياب النور فيحيل جدبها خصباً وغناء ويجعل ثراها ثراء

آخر ـ نعم هذا بلد قد جمّ خيره وأنبتت التبر أرضه وان سماءه عجب وأرضه ذهب وهو بجملته لمن غلب

ثالث ـ ان العرب اذا فتحوا مصر تدفق عليهم خيرها وعم الجزيرة بُرّها ولكنى أخشى اذا نحن تريثنا ان يقل عددنا ويربى علينا عديدهم فتضعف مُنّة جيشنا وترق عزيمته ونحن ما زلنا امام هذا الحصن غرضاً للعدو ينال منا ولا نقوي عليه

أحد العرب ـ لا تقنط ياصاح فقد سنح للأمير عمرو ان يهادن القوم حتى يتحين الفرصة لأنه لايريد أن يهدر دماء رجالنا بلا جدوى

آخر ـ قد يكون ذلك فان الأمير عمراً بعيد مسافة الرأي وهو لا يرد الأمر حتى يعرف صدره ولا ينزع فى قوسه حتى يريش سهمه ويملأ كنانته ولقد شهدت معه غزوات كثيرة فاذا به يحلّ كل معضل ويخرج من كل مأزق

ثالث ـ انظروا ان الأمير وأصحابه قادمون

(يدخل عمرو والقوّاد الأربعة)

عمرو ـ لقد سمعتم قول عبادة وعلمتم ان الروم أبوا ان يجيبوكم الي خصلة من الثلاث التى أمر بها أمير المؤمنين فانقضى بذلك أمر الهدنة التى بيننا أما وقد أوشك ان يفيض النيل بمائه فيغمر الأرض ويعمّ الوادي ويكون ذلك عائقاً لنا عن القتال والغارة عليهم وهم فى عقردارهم فقد عنّ لي ان نوقظ نار الحرب ونعاجلهم القتال والا عسر علينا بعدئذ ان نتغلب عليهم

مسلمه ـ ما زال ذلك الحصن المنيع عقبة كأداء امامنا وما فتىء الروم منذ أمنوا غائلة هجومنا يصوبون سهامهم الى

مضاربهم العرب آمنة وهؤلاء لا يجدون سبيلا الى اقتحام الحصن لأن البدو يملكون ضفاف النهر والسفن تمخر آمنة وهي تحمل لهم الذخائر من كل صوب

المقداد — لا سبيل الى منالهم الا اذا استولينا على ذلك الحصن ودون ذلك من الأخطار ما تجم له النفوس وترتاع لهوله الأفئدة

الزبير — أيها الأمير اني أحتسب نفسي لله عسى ان يفتح بذلك على المسلمين

عمرو — ماذا ترى يا بن العوام

الزبير — اني أرى ان أرقى الحصن بسبب حتى اذا بلغت ذروته انتضيت سيفي وأخذت في التكبير فاذا سمع المسلمون تكبيري فليجلبوا برجلهم ثم ليحملوا معي حملة صادقة فيمن الله علينا بالنصر ويثبتنا فتحا مبينا

عمرو — هذه هي والله الشجاعة الصادقة فامض فيما عزمت عليه واستعن بالله ان المستميت لا يموت

« يخرج الزبير ويخطب عمرو في الجند »

انكم الآن تجاهدون في الله حق جهاده لتنصروا دينه وامامكم جيش قد اعتصم رجاله بحصن منيع ووراءكم

جيش يتربص بكم فى مكانه ان ترتدوا على أعقابكم يقطعوا دابركم وأينما تولوا وجوهكم فثم جيش العدو رابض لكم فاياكم ان ينزل الخوف من قلوبكم فتنكصوا وترجعوا القهقرى بل كونوا جميعاً يداً واحدة فى قتال عدوكم ولا تضعوا السيوف فى رقاب من استأمنكم ولاذ بكم ولا تقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ولتعلموا ان عين الله ترعاكم والخليفة يراقبكم وان اخوانكم المسلمين فى بقاع الأرض يبتهلون ويدعون لكم بالنصر وان الخلف سيتلون آيات جهادكم فلتثبتوا ركن الأسلام وترفعوا عماده ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

« تسمع جلبة وضوضاء فيخرج عمرو »
(يتبعه الجند بالتكبير والتهليل)

(المنظر الثاني : امام الحصن)
« ماريه فى زي آسية »

ماريه — قد دارت رحي الحرب وأصبحت مصر واذا السماء تبرق وترعد والأرض ترغى وتزبد والنيل وقد خضب أديمه يكاد يجرى دماً والأهرام قد تصدعت أركانها

واكفهرت جوانبها وأبو الهول يوشك ان ينهار بناؤه وتميد دعائمه فما أقسى هذه الحروب التى يثيرها الناس بعضهم على بعض يتنافسون فى ابادة العالم وهدم كيان العمران

لقد هبط السيد المسيح الأرض وأوصى الناس بالحق ودعاهم الى كلمة سواء ولكن سرعان مانسي الأنسان تلك الكلمة المقدسة فانبعثت فيه روح الأثرة والأطماع وشرع يكدر صفو الحياة ويطفىء نور السلام فتفجرت الأرض أنهاراً من دماء وقامت فوقها أطواد من أشلاء ذلك لأن بعض الناس يريدون استعباد غيرهم وقد ولدتهم حواء أحراراً فيسلبونهم تلك المنحة الالهية ثم يمعنون فى استرقاقهم فما أظلم الانسان لأخيه الانسان وهو يعلم ان المصير للفناء والأمر يومئذ لله

(يدخل يودوسيان فى جند من الروم)

يودوسيان — ماذا تفعلين هنا فى هذه الساعة الرهيبة أيتها الفتاة

ماريه — انى أتيت لأواسى الجرحى وأضمد جروحهم كما تأمر بذلك التعاليم الدينية فليس لدي الانسانية مذاهب ولا شيع فالكل فى المحنة سواء ورحمة الله تسع الجميع

يودوسيان — يا للجحود! أفى بنات مصر من تواسى العرب وهم

يغيرون على البلاد ويريدون إذلالها لمشيئتهم. أو لم نقاتلهم لاجلائهم عن بلادكم لتسترجعوا حقوقكم وتستردوا حريتكم

ماريه — إفك وبهتان . هل نسيت ما جرّه رجالكم على البلاد من الدمار فلشدّ ما أرهقتم نفوساً واغتصبتم حقوقاً وانما جاء العرب لانقاذ هذه النفوس ورد تلك الحقوق فما كان لمصر ان تقابلهم بالكفران ولكنه الظلم قد غشّى أبصاركم فان وجدتم ما تتذرعون به من الوسائل لتبرير مسلككم الشائن فان الباطل لا يلبث ان يتلاشى امام الحق ومن كان زرعه الظلم فلا يجنى الا البغضاء فانتظروا اليوم مرتعكم فقد حاق بكم مكركم جزاء وفاقاً

(يدخل أحد الروم)

أحد الروم — لقد وقع الحصن فى قبضة العرب واستولوا على مدينة بابلون وما يصاقبها من البلاد

يودوسيان — وكيف تم لهم ذلك والروم يفوقونهم عدداً وعدّة

أحد الروم — لقد اندفع العرب الى الحصن كتائب متماسكة ثم انبرى من بينهم فارس ويمم الحصن شاهراً سيفه وماهى الا طرفة عين حتى أوفى عليه وأخذ يكبر فلما رآه العرب

وقد بلغ مرقاه انثال جمعهم وتدفقوا كالسيل الجارف صائحين مهللين فوقع الزعر فى قلوب الروم ووجمت نفوسهم وخارت عزائمهم وبعد قتال عنيف أسفرت الملحمة عن فوز العرب وإخفاق الروم ثم ولى جنودنا ولم يُعقّبوا وعبروا النهر وهم لا يكادون يصدقون بالنجاة وقد كانت لذلك رنة فرح فى نفوس المصريين

ماريه — وافرحتاه

ميناس — إنى أرى ميناس ورجاله قادمين فلتركنوا الى الفرار قبل أن يداهمكم فيستبيح دماءكم

(يخرجون مهرولين ثم يدخل ميناس فى جند من المصريين)

ماريه — شكراً لله على نجاتك وليهنأك هذا النصر

ميناس — لله الشكر على ماأولى فقد خلص البلاد من أيدى الغاصبين وأصبحوا يهيمون على وجوههم جزاء بغيهم وعلى الباغى تدور الدوائر وإذ عاهدت نفسى أن أشارك العرب فى غزو الاسكندرية فقد جئت لأظفر برؤيتك قبل الرحيل وأنت لاشك تغتبطين بذلك

ماريه — لتذهب يامياس لتلبية داعى الوطن فمن العار أن يقال إن العرب قاتلوا الروم لأجلائهم عن أرض مصر

فلم يكن من المصريين من ينافح عن بلاده ونحن الفتيات لانقل عنكم أيها الشبان حباً لبلادنا ورغبة فى تحريرها

ميناس — بورك فيك فأنت خليقة أن تكوني سليلة نيتوكريس تلك الملكة المخلصة لوطنها البارة بشعبها ونحن انما ندافع عنكن يابنات النيل ونذود عن حماكن فأنتن اللائى ستكن أمهات الغد وسيدرج فى حجوركن أبناء المستقبل

(تسمع دقات الطبول)

لقد أزف الوقت وأزمع الجيش الرحيل وإني أستودعك الله أيتها العزيزة

ماريه — إني أرجو الله أن يسدد خطاك فى خدمة بلادك ويكتب لك الظفر فترجع من العاصمة لامع غرة النصر وقد أزلفت الى بلادك خدمة لاينقضى برّها ولا يمحى ذكرها

(يخرج ميناس ورجاله من جانب
ويخرج ماريه من الجانب الآخر)

(المنظر الثالث : امام الحصن)

« قواد العرب »

عبادة — ان الروم قد أذعنوا للصلح وبعد ان تفاوض الأمير عمرو مع جورجيوس حامي حصن بابلون أبرم عهد بينهما على ان تفرض الجزية على جميع من فى أرض مصر عليا وسفلاها شريفها ووضيعها لا على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحُلُم ولا على النساء وان لهم أرضهم وأموالهم لا يتصدى لهم أحد فى شيء منها

المقداد — لقد أبلى العرب بلاء حسناً وقاتلوا ببسالة فتم لهم بذلك الاستيلاء على بابلون وقد ذهبت كتائب من العرب الي مصر العليا ولم يبق الا الذهاب الى العاصمة لأن الروم قد نظموا جيشاً عظيماً للدفاع عنها مستعينين بالأمداد التى تصلهم من قسطنطينية

الزبير — ان الأمير عوّل على غزو الأسكندرية لأنه يرى اذا فتحت هذه المدينة واستتب الأمن فيها فان المصريين يأمنون بعد ذلك أية غارة من البحر ولما كان يرغب فى المبادرة بدخولها فقد أمر بتقويض الفسطاط إيذاناً بالرحيل

مسلمه — ها هو ذا الأمير قادم مع زعيم المصريين

(يدخل عمرو وميناس فى جند

من العرب والمصريين)

عمرو — أنى أحمد الله الذى ألف بين قلوب هـذه الأمة وجعل من أبنائها من يناصر العرب فى نشر رايةالعدل وحمل لواء السلام وانما العرب والمصريون إخوة تشعبت اسلافهم من ذرية اسماعيل ولد هاجر فخرى بهما ان يحاربوا جنباً لجنب ليحق الحق ويزهق الباطل فلتكونوا اليوم عصبة لقتال الروم بارك الله فى اتحادكم وجعله سعيد الطالع ميمون البركات

« يدخل أحد العرب »

أحدالعرب — أردنا أن نهدم الفسطاط فألفينا به يماماً قد اتخذ وكراً وأفرخ فيه

عمرو — لقد تحرم بنا هـذا اليمام فلتقروه فى مكانه وليشهده بعضكم حتى تنهض فراخه وتمعن فى الجو طيراناً

أحد العرب — سمعاً وطاعة (يخرج)

عمرو — أيها الجنود انكم ستذهبون لغزو العاصمة وستجدون قبل ان تبلغوها معاقل وحصوناً فعليكم ان

تقتحموها فاذا شارفتم الأسكندرية وكنتم على أبوابها
فان امامكم جيشاً جراراً وستدور هناك معركة تشيب
لهولها الولدان وتميد من جرائها مدينة المقدوني وقد
عزمت أن اعقد على كتيبة لعبد الله بن عمرو ويتبعه شريك
على رأس كتيبة أخرى وسأكون على جيش يحمل وردان
لواءه حتى اذا تمكنت الكتيبتان من اخضاع البلاد الثائرة
واقتفاء اثر الروم المنتشرين في تلك المفازة الشاسعة أخذنا
نجمع الكتائب ونتظم الصفوف للهجوم على أسوار
العاصمة وفتح أبوابها فاذا وطئتم أرضاً للعدو فأذكوا
العيون وبثوا السرايا ثم لا تعاجلوهم القتال حتى تبصروا
عورتهم وتقفوا على حالهم فاذا كنتم معهم في قتال فلا
تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور واذا كانت
الغلبة لكم فلا تطلبوا الغنيمة حتى تحرزوا السلامة ولا
يلهيكم انتصاركم ان تحذروا عدوكم فان للمغلوب لوثبة
قد يقتل معها من عثرته وينهض من كبوته فلتأخذوا
الأهبة من يومكم ولتشدوا الرحال ولتسيروا على بركة الله

«يخرجون جميعاً الا عمرو»

(المنظر الرابع : أطلال منف)

عمرو — (مناجياً) الاعمى صباحا ايتها المدينة البائدة مثوى المجد الآفل ودار العز الراحل لقد خيمت الوحشة على ربوعك وضرب السكون على اطلالك كأنك نائمة فى بيداء الدهر او ذاهبة فى طيات العصور وقد انتابتك النير وغيرتك الصروف وناء عليك القدم وسحب عليك البلى ذيله فعفا رسمك وأندرس أثرك ولم يبق منك الا بقية تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ايه منفُ الغابرة لأنت صنيعة يد الفراعنة وأول صحيفة الوجود ومنبع المعارف وموئل العلوم ومحط رحال الفنون . لقد اعتنقت بين جدرانك الأجيال وتلاقت فى فنائك العصور ووفدت الى بابك الأمم تغدو أمة وتروح أخرى فأنت ملتقى اجتماع الدول وحلقة أطراف التاريخ

أين عهدك الماضى اذ كنت درة فى تاج الكون وواسطة عقد البلاد تحتاطك الجداول وتكتنفك الرياض وتزجى الى موردك الجواري المنشئات وإذ يحج اليك المصريون من كل حدب وأنت مقر الملوك وكعبة الأمراء أصبحت واذا بك أنقاض متراكمة

وأطلال بالية سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

أين مينا الذي شيّد بنيانك ووطد أركانك ثم نزل يجوس خلالك ويميس في عرصاتك

لقد زحف اليك الفرس فأحرقوا الدور وهدموا القصور. وجاءك الأغريق فأفنوا وأبادوا. وأعقبهم الروم فعتوا وظلموا. وقد اجتمع في معابدك كهنة يعبدون نُصباً من دون الله حتى أظلتك المسيحية السمحة فحطمت الهياكل والأصنام داعية الى عبادة الله. واليوم يرفرف عليك الأسلام ليبني ما قوض من سالف عزك ويتدارك ما تداعي من ماضي سؤددك ولتخلعن عليك هذه الملة مجداً يزري بمجد الأولين ولتعلمنّ نبأه بعد حين

ايه منف لتُصبحن محوراً يدور عليه التاريخ مرة أخرى ولله الأمر من قبل ومن بعد

ألا فاسلمي أيتها الأطلال على البلى جادك الغيث وحيّاك الحيا

يخرج — تسدل الستار

﴿ الفصل الرابع ﴾

(المنظر الأول : على أبواب الأسكندرية)

« بعض جنود العرب »

أحد الجنود ـ ان العاصمة لتلوح لنا على مدى البصر تكادحصونها تطاول السماء وتبلغ السحاب وقد هال الجند مايرونه من منعة تلك الحصون وعلو صروحها وراعهم وفرة رجال الروم وجيشهم الزاخر اما جنود العرب فلا يزالون منتشرين فى الصحارى لقمع الفتن القائمة فاذا نحن لم نفاجىء المدينة تمكن العدو من صدجيوشنا وابادة جنودنا

آخر ـ لقد بالغ الروم فى تحصين المدينة وأخذ عددهم فى التكاثر وقد أضحى الأمير عمرو نائيا عن الجيش حتى تمشي الزعر فى القلوب وهفا الخوف بالنفوس وملكتنا رجفة لا ندرى ما مآلها

ثالث ـ نعم قد انقضى احد عشر شهراً ونحن نحاصر المدينة

والابواب موصدة حتى كاد ينضب معين الذخائر وتنفد المؤونة وان فى مناهضتهم وقد تحصنوا منا بما لدينا من عدد قليل شيأ من المجازفة وأولى لنا أن نصبر حتى تنتظم الكتائب ويحتشد رجالنا من تلك الأطراف القاصية لأنى أحاذر أن يهيض جناح الجيش فننكص على اعقابنا ونسجل علينا عاراً يتوارثه الخلف ونكون أحدوثة الأجيال القادمة

« تسمع دقات الطبول »

أحد الجنود - لقد اتى الله بالفرج فهذه كتائب العرب تأخذ سمتها الى العاصمة

(يدخل عبد الله بن عمرو فى كتيبة)

عبدالله بن عمرو - أيها الرجال انى لأقرأ على أسارير وجوهكم سطور اليأس وأرى التخاذل قد بدا يدب فى نفوسكم وأنتم تعلمون أن الساعة لآتية لا ريب فيها وأن أمر الله لا مرد له وقد استبطأ أمير المؤمنين فتح الاسكندرية وهو يحسب أن قد غيركم شيء وأحببتم من عرض الدنيا ما أحب عدوكم فلتجمعوا جنودكم ولتكونوا فى صدور جنودكم فاذا رأوكم وقد حملتم فى مقدمتهم شجعوا بكم وقدر لكم ان تقتحموا أسوار المدينة

أحد الجنود — لقد أبطأ جيش الأمير فسرى الفزع فى الرجال وتولاهم الهلع

عبدالله بن عمرو — ان لنا من قلوبنا المعمورة بذكر الله قوة تشتد بها عزمتنا اذا ضعفت وتقوى بها همتنا اذا وهنت ولئن كان قد غاب عنا عمرو فكلنا بحمد الله عمرو وفينا جلادته وانا لن نرجع عن عزمنا ما دام فينا عرق ينبض ونفس يتردد أو نموت جميعاً تحت ظلال السيوف

(تسمع دقات الطبول)

هاهو قدوصل جيش شريك

(يدخل شريك فى كتيبة من العرب)

شريك — عثرنا فى طريقنا على رجل سكندرى وقد عاهدنا ان يكون دليل العرب الى العاصمة ويمهد لنا السبيل الى دخولها

عبدالله بن عمرو — تقدم أيها الرجل وصف لنا هذه المدينة

اسحاق — الأسكندرية هى عروس مدائننا قد فرشت أرضها بالرخام وتخللت ساحاتها الرياض الفيحاء والخمائل الغناء وفيها المبانى الفخمة الذاهبة فى الجو صعداً فهناك دار القيصرية وهى رابضة على البحر امامها مسلتان

عظيمتان إحداهما على قاعدة من النحاس يعلوها تمثال يشير الى الشمس رأد الضحى وحين الغفل والأخرى على قاعدة من البلور يعلوها تمثال ينذر المدينة كلما تعثر سفينة فى البحر وفى وسط المدينة معبد السرابيوم وما أدراك ما هو بناء شاهق يناطح الجوزاء امامه عامود يرد الطرف وهو كليل ويليه المتحف ودار الكتب وهى ما عفت عنه تلك المكتبة العامرة التى شادها ثانى ملوك البطالسة وجمع فيها من طرف العلوم ومستودعات الحكم ما جعل الناس يؤمونها من كل فج ليردوا مناهلها ويجنوا ثمار ما أودع فى خزائنها فلما جاء يوليوس قيصر ليصلح بين الملكة كيلوباطره وأخيها بطليموس الرابع عشر رأى المصريون ان قيصراً يتدخل فى أمورهم فناهضوا فى وجهه بقيادة البطل إخيل لاخراجه من أرض مصر فلما أعيى قيصر الأمر وضاق ذرعاً أحرق سفنه الراسية على شاطىء البحر فاضطرمت النيران واندلع لهيبها الى المتحف وبه المكتبة فقضى على ذكاء تمخضت عنه القرون وحرم العالم نوراً ساطعاً من سماء تلك العقول ولا تزال باقية

تلك القبة التى كان يخلو اليها فلاسفة الأغريق ليتلقوا العلوم على أساتذة من المصريين وهناك المنارة العظمى فى مدخل جزيرة فارُو لترشد السفن القادمة وترسل أشعتها المحرقة على كل من أراد المدينة بسوء

عبدالله بن عمرو ـ هذه عاصمة البلاد ووارثة الملوك الشداد ومن هذه العاصمة تطلع أنوار العرفان على آفاق العالم كأنها شمس والأمم كواكب فعسى الله أن يلقى بها فى حظيرة الأسلام

« تسمع دقات الطبول »

قد وصل جيش الأمير فهلمّ لدخول المدينة غير هيابين

(تدق الطبول ويخرجون)

« المنظر الثانى : على أبواب الأسكندرية »

(كتيبة من الروم بقيادة دومنتيان)

ضابط ـ قد احتل العرب بابلون وأصبحت مصر العليا فى قبضتهم وهذه جيوشهم تجتاز البلاد وتنتشر فى الفلوات وأخذ السكان ينضمون الى صفوفهم وينضوون تحت لوائهم خوفاً من بطشهم . ألا ينذر هذا بضياع ملك

الروم وقرب يومهم

دومنتيان — لا خوف من ذلك فان الاسكندرية في منعة ولا يتسنّى للعرب دخولها وقد أمر الحاكم انسطاسيس بتحصينها وإيصاد أبوابها وان أصرّ العرب على القتال وأبوا الا مناهضتنا فانهم سيلقون بأنفسهم الى التهلكة ويومئذ تبيد جموعهم فلا يبقى منهم من ينعى موتاهم أو يتحدث بذكراهم وستشهد العاصمة معركة لم يرو التاريخ مثلها من عهد قيصر للآن أما استيلاؤهم على بابلون وغيرها من الأقاليم العليا فانها زلة قد ارتكبها سيرس المقوقس لانه هاب العرب عن جبن وخور وقال بمسالمتهم فشبط بذلك همة الروم وأخمد نار الحماسة في نفوسهم حتى آل الامر الى تدهور هذه البلاد ووقوعها في أيدي الاعداء الا أن القيصر قد رابه الامر وحمل ذلك على خطل في الرأي وشطط في التدبير وأرسل يستدعي المقوقس الى قسطنطينية ليبسط عذره وينفض أمره فلما وصل اليها ومثل بين يديه أخذ يُدلي بحجته فلم تغن عنه معاذيره وقضي القيصر أن ينفى ويلقى في غياهب السجن فنال بذلك جزاء ما أسلف

ضابط — ولكن ألا ترى ان في انضمام المصريين الى العرب

قوة للعدوّ علينا وهذا مما يُسعدهم على قتالنا ويضعف من شوكتنا

دومنتيان — لاغرو أن ميناس الّف حزبه الأخضر ليناوىء به حزبنا الازرق وقدنشر دعوة بين رجاله وأيّده نفر من القساوسة للاتحاد مع العرب ولكنهم سيلاقون جزاء ما قدمت أيديهم

ضابط — يلوح لى أن جنوداً قادمون

دومنتيان — يحسن بنا أن نسرع الى العاصمة قبل أن نشتبك معهم فى قتال فنكون قد سعينا الى حتفنا بظلفنا (يخرجون)

« المنظر الثالث : مدينة الاسكندرية »

(انسطاسيس فى رجال من بطانته)

انسطاسيس — حقا أنها لاحدى عجائب الدهر وخوارق الطبيعة فمن كان يظن أن العرب يهبون من جزيرتهم النائية وينتشرون فى مشارق الارض ومغاربها ثم يغزون الشام وبلاد مصر فيجتاحون المدائن ويكتسحون الجيوش وما اكتفوا بأن ترك الروم لهم بلاد الشام بل أخذت جيوشهم تشق غبار الصحراء فاستولوا على الفرما وبلبيس فهليوبوليس ثم بابلون وبعد ذلك أغاروا على مدينة نخو والكريون وهم الآن يحاصرون العاصمة

أليس عجيباً أن أمة تسكن الأطناب وتأكل الحشف وتعيش فى البداوة تناضل أمة الروم ذات القدم الراسخة فى الحضارة والضاربة بأوفر سهم فى المدنية إن هذا الا أثر تلك الاعمال الشائنة التى جرها سيرس على البلاد فكان من اضطهاده للمصريين أن صرفوا وجوههم عنا وذللوا للعرب العوائق فكانوا حرباً علينا وسهاما فى أفئدتنا

فليادس — لاريب أن المصريين يظاهرون العرب ويناصرونهم وهم يودون خذلاننا وضياع ملكنا

انسطاسيس — نعم لانهم يعلمون ان العرب اذا دخلوا العاصمة فقد ملكوا آخر درة فى تاج المملكة البيزنطية وهذا يؤدي الي انفراط البلاد التى تحكمها بلداً بعد الآخر وهم يعلمون أنفسهم ان يظلهم حكم العرب فتفتح لهم المعابد ويؤدون شعائرهم جهارا

فليادس — ولكن العاصمة أمنع من عقاب الجو وليس ثمت سبيل الى دخولها ولا قبل للعرب على اقتحام أبوابها هذا الى أن جيشهم قد تفرق شذر مذر وهم يهيمون فى البراري على حين أن جيشنا لا يزال معتصما بهذه الحصون ومتى وافتنا الامداد من قسطنطينية استطعنا

أن نذعر جيشهم ونقضي عليهم قضاء مبرما

النسطاسيس — ان فى رجال العرب صناديد يصبرون على الجهاد وان طال أمد الحصار نفدت ذخائرنا وثبطت همة جيشنا فنصبح غرضا لهجومهم ونحل بالمدينة نكبة تؤدي بنا الى تركها لهم ونحن صاغرون

فليادس — لا يهولنك ذلك فانهم مازالوا يكرون ويفرون حول أسوار المدينة يطمحون أن نقاتلهم فى العراء بيد أن جنودنا ما عكفوا يسددون الرماية الى كتائبهم ويرشقون جنودهم بالنبال حتى أبادوا منهم خلقاً كثيرا واكبر ظني انهم سيغادرون هذه البلاد ويرحلون الى أوطانهم لانهم يعلمون علم اليقين انهم لن يدخلوا العاصمة حتى تكون أجسامهم هباء تذروه الرياح وحتى تخضب دماءهم الارض ليعلم الملأ ان أمة الروم قائمة لا يتزعزع لها ركن ولا يهدم لها بناء

« تسمع ضجة وضوضاء »

(يدخل أحد الروم)

أحد الروم — أنبأت الرسل ان بينما كانت سفن الروم القادمة من قسطنطينية تشق عباب اليم وهى فى صوبها الى الاسكندرية هبت عليها ريح عاصف فأغرقتها ولم ينجو من رجالها أحد

انسطاسيس ـ يا لسوء الحظ ونكد الطالع

« يدخل جم غفير من الروم صائحين :

لقد دخل العرب المدينة »

الآن ضاع ملك الروم وتقلص ظلهم فالفرار الفرار

قبل أن يمزقوا شملنا ويُصلونا ناراً حامية

« يخرجون مهرولين »

المنظر الرابع : مدينة الاسكندرية

(يدخل عمرو فى جند من العرب)

عمرو ـ اليوم تم لنا النصر وأصبحت بلاد مصر جميعها ملكا لاهلها لا ينازعهم فيها منازع وما علينا الا أن نوطد دعائم الأمن فى هذه الديار ونمد على أهلها ظل الرفاهية واليسار ليقر كل شيء فى نصابه فتعود الطمأنينة الى النفوس وتنزل السكينة فى القلوب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الزبير ـ ألا يرى الامير عمرو أن يتجزع الجند الغُنم لينال كل مجاهد مما أفاء الله على العرب

عمرو ـ رويد اخالك يابن العوام فقد جئنا مصر فاتحين لا غانمين فلا يصرفنا اقتسام الغنائم عن إقامة ميزان العدل وتوفير

أسباب الرخاء فى هذه البلاد فلا تبسطوا أيديكم لشيء مما لأهلها فتحفظوهم وتوفروا صدورهم وليكن لكم فى أمير المؤمنين أسوة حسنة فقد دخلت بيت المقدس ودماء المسلمين تخضب الثرى ورقابهم تملأ الرحب وذلك أثر ما ركبه الروم من الشطط عقب خذلانهم فأبى أن تحتذى مثالهم ويأخذ أخذهم ولم يثأر لتلك الدماء التى أهدرت إذ كان حقّ القناة والحسام بل أمر الجند أن يكفوا عن قتالهم ولا يعرضوا لهم فى شيء من أنفسهم وأموالهم

الزبير — الرأى للأمير فما كان لنا أن نعدل عن سنن شرعه أمير المؤمنين

عمرو — ألا فلتبشوا فى المدينة أعلام الدعة والسكينة ألا وانى مُوفِد معاوية بن حُدَيْج ليبشر أمير المؤمنين بهذا الفتح المبين

معاوية — أيأمر الأمير بكتاب من عنده

عمرو — بلغ أمير المؤمنين اننا فتحنا مصر من أقصاها الى أقصاها وصفها له كأنه يراها فهى تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر يكنفها جبل أغبر ورمل أعفر يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك

الروحات يجرى بالزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر له أوان تظهر فيه عيون الأرض وينابيعها حتى إذا عج عجاجه وتعظمت أمواجه لم يكن وصول بعض القرى الي بعض إلا فى خفاف القوارب وصغار المراكب فاذا تكاملت تلك كذلك نكص على عقبه كأول ما بدأ فى شدته وطما فى حدته فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب حتى اذا أشرق وأشرف سقاه من فوقه الندي وغذاه من تحته الثرى فعند ذلك يدر حلابه ويغني ذبابه فبينما هى درة بيضاء اذا هى عنبرة سوداء فاذا هى زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء

هذه هى رسالتى فانطلق بها الى أمير المؤمنين وبلغها كما سمعتها وبشر المسلمين بهذا الفوز العظيم

معاوية — سمعاً وطاعة أيها الأمير (يخرج)

عمرو — قد عزمت بعون الله أن أجري خليجاً يصل النيل ببحر القلزم باسم الخليفة تيمناً به وتبركاً فعلينا أن نتهيأ للعودة الى بابلون ولنذهب الآن لأقامة الجمعة شكراً لله على ما أسبغ من نعمائه وأسدى من آلائه

(يخرجون) — تسدل الستار

« الفصل الخامس »

(المنظر الأول : غيضة)

« ثلة من المصريين »

احد المصريين ـ يا للمصاب إن النيل لم يبلغ ستة عشر ذراعاً كعادته وإنا لنخشى أن يقصر عن فيضانه فيجف الثرى ويمسك عن الأنبات ومتى أعوز مصر الماء فقد أعوزها كل شيء فانه مادة حياتها وعليه موفور أقواتها فان فاض النيل عم الخير وإلا فلنا الويل

ثان ـ ياويحنا ! أي خطب تتضاءل فى جانبه الخطوب. ان الوادى يكاد يحترق وأوشكت الأرض أن تجدب فيذوي النبات وتذبل الأزهار فيشتد القحط ويعم البلاء

ثالث ـ يا للرحمة إن الجداول لا تزال على جفافها فبم نروي الأرض إذا غاض الماء وممّ نأكل إذا أصبح الزرع حطاماً والنبات هشيما إن المحل ليصيبنا فتهلك السائمة

والأنعام ويذهب الحرث والنسل

رابع — إن السماء مكفهرة تنذرنا بما سيحل بنا من البلاء وأى بلاء أشد هولا من نقصان الماء . ألا ترون الشهب تتهادى والصواعق تنقض انها بوادر لما يضمره الغيب لهذه البلاد

احد المصريين — على رسلكم هاهو ذا الشيخ اجاثو حارس معبد منف مقبل فلنستفته فى الأمر

(يدخل اجاثو)

ثان — أيها الشيخ ما زلت فينا مرجواً تبذل النصح فهتدي بهداك ونستنير بسنا نهاك ألا فافتنا فى أمر تلك الكارثة التى حلّت بمصر حتى نضب الماء وأصبحت الأرض مواتاً لا تنبت زرعاً ولا تدرّ خيراً

اجاثو — إن النيل يضن بمائه على مصر حتى توفوا له بعهده وتبروا به كما برّ آباؤنا من قبل فقد كانوا يجتمعون على ضفافه كباراً وصغاراً رجالا ونساء وأمامهم فتاة بلباس أبيض ناصع وعلى رأسها إكليل من الأزهار تحف من حولها العذارى ثم تزف الى النيل ويحتفل القوم بألقائها فى اليم تكريماً له واستدراراً لخيراته وبعد ذلك يتقدم الملك يحيط به القواد والجنود ويملأ قدحه الذهبي

من ماء النيل ليمنحه الحياة والقوة وليبارك له فى شعبه
ثم يتبع ذلك الهتاف والابتهال فلا يلبث النيل أن يتقبل
ثناءهم ويجيب دعاءهم فيتدفق فى مجراه ويعم ماؤه الوادي
ويعيش الناس فى خفض ورغد

احد المصريين — هلمّ نختر عروساً للنيل كدأب أسلافنا الغابرين

الجميع — هلمّ الى عروس النيل (يخرجون)

(المنظر الثانى : حديقة)

«ماريه»

مارية — إلهى لقد عيل صبرى ولا أعلم ماذا جدّ من الأمور
فى تلك العاصمة وكلما أدير طرفى فى هذه الحديقة أرى
الأوراق تتناثر والأزهار تتساقط والماء آسناً والهواء
كأنه من سموم

وإني لتعروني هزّة كلما عاودتنى الذكرى لتلك
الرؤيا المفزعة فقد رأيت فيما يرى النائم انى كنت أمشى
الهوينا على ضفة النيل والسماء صافية الأديم والهواء
عليل النسيم فلمحت سفينة قد كللت جوانبها بأزهار
البشنين حتى اذا دنت منى وكان الشاطىء مرساها
هممت أن أنزل اليها فراعنى أن رأيت تمساحاً عظيم

الجسم مخيف الشكل فاغراً فاه فذعرت منه ورفعت يدي مستغيثة ثم صرخت صرخة عظيمة وكأن السماء أجابت غوثي فبينما أنا أتوسل العناية وأتضرع اذا بعقاب قد شقت الفضاء وهوت الى سطح السفينة وانقضّت على ذاك التمساح وأنا أنظر اليه ثم حملته بين مخالبها وطارت به الى الجو وهكذا أنقذني الله من شره:
ترى ما تفسير رؤياي هذه أم هي أضغاث أحلام

(تدخل سارّه)

سارّه — مولاتي

ماريه — ما وراءك يا ساره

ساره — أبشري يا مولاتي فقد انتصر العرب والمصريون

ماريه — ياله من نبأ تبتهج لسماعه النفوس ومن الذي أنبأك بهذا الخبر؟

ساره — قد ظهرت طلائع الجيش وفشى الخبر في المدينة والناس فرحون جذلون ولا سيما وهم يحتفلون في هذا اليوم بعيد النيل وهم يتخذون لذلك عتادهم ويجرون على مألوف عاداتهم

ماريه — عليك الآن أن تحضري لى أنفر الثياب للاحتفال بهذا العيد المجيد

سماره — سمعاً وطاعة (تخرج)

ماريه — قد عطف الله على هذا الشعب برحمته وجزاهم بما صبروا خيراً كثيراً

(يدخل ميناس)

رباه : أحقيقة ما أرى . هذا أنت يا ميناس

ميناس — نعم أنا هو أيتها العزيزة

ماريه — متى قدمت وكيف علمت أنى هاهنا

ميناس — ان داعى الهوى قد نم عليك كما نمّ على الصبح محيّاه ووشى بالمسك ريّاه

ماريه — حمداً لله على هذا التوفيق وهل من بشرى تزفها الىّ أيها العزيز

ميناس — لتطيبي نفساً فقد جاونا الروم عن أرض مصر وستلبس بلادنا ثوباً من النعمة قشيباً وتزدهي فى حلة سابغة من الرفاهية وتستقبل عصراً جديداً من الحرية

ماريه — وافرحتاه فقد نلنا بذلك بغيتنا والآن أفلا ترى ان نعقد الأكليل

ميناس — أحبب الىّ بهذا فأن الفرصة سانحة وما علينا الا أن

نتأهب لأعداد مراسم الأفراح
(يخرجان)

(المنظر الثالث : على ضفاف النيل)

« ثلة من المصريين ومعهم قس »

احد المصريين ـ فلنفترع على من تكون عروس النيل

ثان ـ هاكم أسماء عذارى مصر الجميلات اللائي وقعت عليهن الخيرة فى هذا العام :

ثيودسيا ابنة مكسيموس أمير البهنسا

كاترينا ابنة ثيوفيلس ملتزم خراج الأقاليم الوسطى

دميانة ابنة فيلوثاؤوس قاضى الفرما

ماريه ابنة صموئيل الذي كان رئيساً لكنيسة القديس سرجيوس

فراسينه ابنة كيرلس حاكم الأشمونين

حينه ابنة لوكاس طبيب مدينة نخو

مارتا ابنة يعقوب أمين متحف العاصمة

هيلانه ابنة بطرس متولى جمع النذور

رفقه ابنة اسطفان صاحب ضياع فى مصر العليا

عائده ابنة انطونيوس ضابط فى الحزب الأخضر

ثالث — ضعوا الأقداح

(يتقدمون بالأقداح ويضعونها امام القس)

رابع — تقدم أيها الأب الجليل واختر عروساً للنيل

قس — (يرتع قدحاً) لقد أصابت القرعة مارية ابنة صموئيل

احد المصريين — هنيئاً للنيل ذلك الجمال الباهر

ثان — وفى رعايته ذلك الشباب الناضر

ثالث — هلمّ لأحضار العروس (يخرجون ويبقى القس)

قس — رفقاً بهذه الفتاة ورحمةً على جمالها فقد شاء القضاء أن تزف الى نهر النيل وهناك تذوى زهرة حسنها ويخبو سراج حياتها ثم يكون الماء مثواها الأخير وقد حال القدر دون زفافها الى الضابط ميناس بطل المصريين بعد أن تعاهدا على الوفاء حتى اذا تحقق مناهما وآن لهما أن يقتطفا ثمر حبهما بدا لهما من وراء الغيب سبب تقطع بهما فأما أحدهما فقد كان من حظ النيل وأما الآخر فسيعيش جزعاً على صاحبته الذاهبة وعروسه الفقيد

أيتها العدالة السماوية ألا أمطري هتان رحمتك على هذه البلاد وأزيلى الغشاوة عن العيون فأنى لأمة تحرك رأسها وتهب من سباتها العميق وليس لها الا أن تتحفز فتتوثب بل اني أشيم الآن من خلف هذا

الليل الدامس وميضاً قد سرى فى الأرجاء وبريقاً بدا يتألق فى الفضاء وستتمخض هذه الليلة عن صباح يؤذن بنور ضحاه وما ذلك الغد القادم إلا الصحيفة الأولى من كتاب مجد جديد وفاتحة لعصر سعيد

ألا فابشر أيهذا البلد الأمين فان العناية سترمقك بعين رحمتها فتنسخ أنوار الحق ظلمات الجهل وتمحو آية اليقين أحلاك الشك وهنالك يرفرف روح التآلف فوق أرجائك ويسرى دم الاقدام فى أبنائك فتشرق شمس الحرية غب أفول ويثمر روض السعادة بعد ذبول

أيها النيل لازلت جارياً تفيض على مصر فيشرب أبناؤها من عذب مائك ما يمتزج بدمهم حباً لك مكيناً وهوًى لوطنهم مبيناً

(يخرج)

(المنظر الرابع : على ضفاف النيل)

« بعض الحراس »

حارس ـ لقد انبثق ضوء الفجر فغارت النجوم وأدبرت كتائب الظلام

ثان ـ نعم وقد صاح الديك ثلاثاً وفارقت الطير وكناتها

ثالث ـ اصغوا فإني أسمع قرع الناقوس

(يقرع الناقوس ويسمع هذا النداء من الداخل)

هلمّ أيها المصريون لرؤية المهرجان العظيم الذي يقام احتفالاً بالنيل . ألا هبوا من رقادكم وانطلقوا إلى النهر لتتضحوا أجسامكم بمائه المبارك وتقدموا لعروسه الهدايا ليمنح مصر خصبها ويحيي أرضها

(يدخل المصريون زرافات يتقدمهم الشيخ أجانو بلباس أبيض ومن خلفه ستة عشر غلاماً يرفعون المشاعل تتلوهم العذارى وهن يحملن الأزهار ثم الفتاة مارية والضابط ميناس وثلة من عامة المصريين والكل ينشدون :

نشيد النيل

يا بني مصر قياما نرع النيل الزّماما
إننا طبنا مُتاما منه في تلك المغاني

***

فخرنا بين الأمم نيلُ مصرٍ والهرمْ
إنّ ماء النيل لم يجرِ من غير الجنانِ

***

يا بني مصر تعالُوا بالقرابين وغالُوا
موتنا فيه حلالُ ذاكَ يومُ المهرجانِ

***

يا أزوريسُ أعنّا يا إلهَ الخير إنّا
نرتجي برّاً ومنّا منك يا خصبَ الزمان

***

يا عروسَ النيلِ هيّا نقربُ النيلَ سويّا
وابتغى للأرضِ ريّا ان حوالك الشاطئانِ

***

اجعلى النيلَ مُقاما وبه بُلّى الأواما
فوداعاً وسلاما لك يا زين الحسانِ

***

إمْلَؤوا تلك الكؤوس منه فى حب العروسْ
ربما تحيى النفوس بين رنّات الدّنانِ

***

أجاثو — انا نحتفل فى هذا اليوم المبارك بعيد النيل لأنه حياة بلادنا وسبب خصبها ونمائها ومصر إن هى إلا هبة من هباته ونفحة من نفحاته يغدق عليها بطميه فتروى الأرض ويصلح الزرع فحق علينا أن نُسدي اليه الحمد ونوليه الثناء ونحن نهدي اليه هذه الفتاة التى صادفها

الحظ لتكون عروساً للنيل وحسبها انها ابنة الشهيد صموئيل أحد ضحايا الحرية فى هذا الجيل

تقدمى أيتها الفتاة هادئة الروع رابطة الجأش فأنك ستحيين بهذا الموت وتظهرين بعد هذا الخفاء وسيبقى إسمك نفر هذا الوطن اذ كنت سبب يسره ورخائه ولكل أمة ضحاياها وما هذه الضحايا إلا عنوان فخرها يوم يعوزها الفخار فسيري أيتها الفتاة الى زوجك النيل مودعة من النفوس بلهفاتها ومن القلوب بزفراتها

(تتقدم ماريه يرافقها ميناس)

ماريه — أيها النيل السعيد إنى أهب نفسى فدية لوطنى وتضحية لشعبى فلتغمرهم بخيراتك ولتمنح مصر الخصيب هذا العام لينبت زرعها ويتم خيرها فتسعد البلاد ويحيى العباد ثم لتحملنى إلى قرارك فنعم المثوى ونعم النصير

(تهم أن تلقى بنفسها فى النهر فيصيح الجميع :)

« حضر الأمير عمرو »

(يدخل عمرو فى جند من العرب)

عمرو — ماذا أرى ! ولمَ هذا الأحتشاد العظيم ؟

أجاثو — أيها الأمير أن لنيلنا سُنّة لا يجري إلا بها

عمرو — وما تلك السنّة التى يجري بها نيلكم

أجاثو — إذا كان لاثنتى عشر ليلة تخلو من هـذا الشهر أخذنا نقترع على من تكون من عذارى مصر عروساً للنيل فمن أصابها ذلك أتينا بهـا وجمعنا لها من الهدايا شيئاً كثيراً ثم وهبناها اياه وألقيناها فى مائه فيغدق علينا بطميه فتحيى الأرض وتُنبت وقد وقع الأختيار فى هـذه السنة على هذه الفتاة وهي على وشك زفافها الي الضابط ميناس ونحن نحتفل الآن بأهدائها الى النيل

عمرو — هذه عادة من بقايا الجاهلية الأولى ولن المسيحية لتبرأ من هذا وقد جاء الأسـلام ليهدم تلك العقائد القديمة وينقذ هذه الضحايا البريئة فلتزف هذه الفتاة إلى خطيبها وليُحتفل بزفافهما

ماريه — هذا تأويل رؤياي من قبل فلتهنئي يا مصر بمـا نلت من خير فقد أعتق كلانا من ربقة الأسر والعبودية

(يتقدم يوحنا متوكئاً على عصاه)

يوحنا — ألا يعرفني الأمير عمرو

عمرو — من أنت أيها الشيخ

يوحنا — أنا ذلك الشماس الذي تقابلنا وإياك في بيت المقدس ثم صحبك إلى الأسكندرية أفلا يذكر الأمير ذلك

عمرو — أي والله لقد تغيّرت حالك فأمال الدهر قناتك وأضرّ بك ريب الزمان فأخلقت الأيام جدّتك وعلا الشيب لمّتك وأنا اليوم أبر لك بوعدي فقد أقطعتك أرضاً وأقلتك من البلوية أنت وذريتك من بعدك

يوحنا — شكراً لك أيها الأمير

عمرو — أيها المصريون من قبط ومسلمين إن الدين هو المعاملة وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ولا فضل لأحدكم إلا بما يقدم من خير ويعمل من تقوى الله إن هذا اليوم يوم مشهود فقد ائتلفت قلوبكم واجتمعت أهواؤكم وأصبحتم أمة تدين في وطنها بدين التجلّة له والحدب عليه فلتمدوا إلى بعضكم يد الصفاء وليكن ذلك الرباط الذي يجمع بينكم ويشدّكم دائماً لا تحل عُروته ولا تهن مِرّته وإياكم أن يتطرق اليكم داعي الشقاق فيُدبر

بعضكم عن بعض ويصيبكم الوهن ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم بل فاستجمعوا واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً

(يدخل آذن)

آذن — قد حضر البطريق بنيامين من منفاه

عمرو — هلمّ جميعاً لنرحب بمقدمه ونقابله بما يليق له من التكريم

(يخرجون)

« تسدل الستار »

﴿ النهاية ﴾

كلمة للمؤلف

التمثيل صدى صوت الغابر ومرآة صورة الحاضر وتصوير ناطق للحوادث ومعرض حافل بالاخبار وهو يعد واسطة بين طرائف الأدب وغرر الفنون

والروايات التمثيلية ما برحت أقوم طريق لتثقيف العقول وتهذيب النفوس وخير هذه الروايات ما ألم منها بتاريخ الأمة وبث روح الاتحاد بين أفرادها

وقد كانت هذه النهضة المباركة التي قام بها بعض رجال الأمة لجمع شتات التاريخ المصري وترقية فن التمثيل وعناية وزارة المعارف بتدريسه في مدارسها أقوى دافع إلى وضع روايات تمثيلية تتمشى مع التاريخ المصري لنشرف على ربوع ماضينا الجليل ونظهر ما اندرس من معالم مجدنا الأثيل فننسج على منوال السلف ونحتذي مثالهم

وانى رأيت الأمة تخطو إلى الحرية وتنشد الاستقلال أن أبدأ مؤلفاتى هذه برواية عمرو بن العاص إذ ليس بين دفتى التاريخ حادثة هي أسمى موضوعاً وأكمل فائدة من الفتح الاسلامى فقد تصافح المسلمون والأقباط وتعانق الهلال والصليب وأصبح العنصران منذ ذلك الحين أمة دينها المصرية

هذا وإنى توخيت فى هذه الرواية أوثق المصادر التاريخية فى استقاء الوقائع والأعلام حتى تجمع بين فائدة التاريخ ولذة التمثيل راجياً ان يكون وراء هذا ما أتمنى من نهضة الوطن العزيز واتحاد أبنائه وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير والسداد

﴿ لغة التمثيـــل ﴾

هذه طائفة من الكلمات العربية وضعها المؤلف لما يرادفها من الألفاظ الدخيلة ورفعها الى هيئة المجمع اللغوى الموقرة بغية نشرها بين طبقات الأدباء والممثلين خدمة للغة والتمثيل

الكلمة العربية	الكلمة الدخيلة
ملهى	تياترو
فرقة	جوق
مسرح	سرسح
مقصورة	بنوار
شرفة	لوج
خدر	لوج حريمى
طنف	فوتيل بلكون
متكأ	فوتيل
مقعد	ستال
مدرّج	امفتياترو
مطلة	أعلا التياترو
مأساة	تراجيدى
مجانة	كوميدي

الكلمة العربية	الكلمة الدخيلة
ملحنة	أوبريت
صامتة	مانتيميم
مناجاة	مونولوج
طريفة	شديفر
معزفة	أوركسترا

موجزة	رواية ذات فصل واحد
مهزلة	فصل فكاهي
سجف	ستار ذات مصرعين
فترة	المدة بين فصلين
بهو	فناء الملهى
مقصف	بوفيه

(أقوال الجرائد)

« كوكب الشرق »

(مؤلف جليل)

ظهرت فى عالم التأليف رواية (عمرو بن العاص) وهى تلك الرواية التى دبجها يراع صديقنا الكاتب القدير اسماعيل افندي عبد المنعم فصاغها فى قالب النسق التمثيلى فاذا بها طريفة من طرف الأدب العربي لما حوته من مواقف جذابة وعظة بالغة وأسلوب رائع وللمؤلف شأن يذكر فى عالم التأليف ولا سيما فى ذلك النوع القصصى فهو معرب مآسي شكسبير ومجانات موليير ومؤسس جمعية أنصار التمثيل ومؤلف ذخيرة صالحة من الكتب القيمة

وقد رأى أن يتحف العالم العربى بهذه الدرة الثمينة فاختار من بين صحائف التاريخ حادثة الفتح الأسلامي التى كانت سبباً فى إجلاء الروم واتفاق العنصرين فهى من هذه الوجهة رواية وطنية

تحيي الشعور وتوقظ العزائم ومن عرف المؤلف وسعة اطلاعه في التاريخ ورسوخ قدمه في اللغة وسلامة ذوقه في اختيار المواضيع وروعة خياله في جميع مؤلفاته يحكم معنا أنه أسدى أجل خدمة للغة والتاريخ كما أنه أهدى للامة خير رواية ظهرت في هذا العصر

أما وقد أخذ فن التمثيل يخطو في سبيل الرقي واهتمت وزارة المعارف بتدريسه في مدارسها فخليق بالادباء ان يحذو حذو المؤلف في وضع روايات وطنية وجدير بالطلبة ان يقتنوا مثل هذه الروايات ونحن نثني على المؤلف ثناء جميلا ونرجو أن يكون قدوة لغيره من المؤلفين

الاهرام

رواية عمرو بن العاص

مظهر من دولة العرب احتواه مظهر من دولة الادب

وصورة من اتحاد الامة المصرية في صورة من البلاغة العصرية.

تلك هي رواية عمرو بن العاص لناسج بردها الاستاذ الكاتب الاديب اسماعيل عبد المنعم معرب «ماسي شكسبير» و «مجانات موليير» ومنشىء روايتي «في سفح الجبل» و «على جمر الغضى» وناظم «عقد اللآلىء» ومدبج «رسائل الصبا»

اعتمد في تأليفها على أصح ماصح من أنباء الفتح العربي، وقد افتن في رسم الحالة النفسية التي كانت تملك انفس المصريين عهدئذ، وتصوير الاخلاق التي هي مادة مجد العرب، واحكام الصلة بين كل سبب وما تأدى اليه، والمزاج بين الخيال والحقيقة، حتى لا يكاد يدري القارىء، أهو يتفكه بالاطلاع على رواية متخيل أم ينهمك في دراسة تحقيق مؤرخ.

والرواية من حيث عبارتها اسلوب من البيان هو ملء نفس الاديب لانه من اجود ماجرى به قلم مجيد.

فنافست اليها انظار القراء ونرجو ان تصادف من اقبالهم ما يشجع قلم كاتبها ويكافىء جد صاحبها

مكتبة الوفد ومطبعتها

باول شارع الفلكي بعمارة سوق خضار باب اللوق

صندوق البوسته نمرة ٣٧٨ بمصر

مكتبة ومطبعة ومعمل تجليد كتب ودفاتر وورشة لعمل الكليشهات واختام كوتش من الدرجة الاولى وبها جميع الكتب الادبية والروايات الغرامية والتاريخية والادوات الكتابية على اختلاف انواعها وجميع الكتب المدرسية عربية وافرنكية من قواميس فرنساوية وانجليزية وعربية وكتب قانونية وصحية وطبية وفلسفية وبالاختصار فهي المكتبة الوحيدة التي فى امكانك المعاملة معها بسهولة متناهية وفى غاية الاعتدال — وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان وهى مستعدة لارسال كافة الطلبات لجميع انحاء العالم بأقرب وقت واتقن عمل وترسل قائمتها مجانا لمن يطلبها

محمد محمود

صاحب مكتبة الوفد بمصر